

تجلیات البنية الفنية في شعر ابن الرومي

Manifestations of Aesthetic Structure in Ibn Al-Rumi Poetry

د- عباس بلحاج^{*1}¹ جامعة الوادي، (الجزائر)، abbesde22@gmail.com

تاريخ النشر: 2021/12/30

تاريخ المراجعة: 2021/10/07

تاريخ الإبداع: 2021/08/12

ملخص:

تعدّ البنية الفنية وسيلة أساسية في التشكيل الشعري، وقد حازت اهتماما كبيرا لدى الباحثين والدّارسين منذ القديم إلى يومنا هذا. وموضوع بحثنا هذا يتمحور حولها، وهو في شعر ابن الرومي، وهذا كلّه بغية الكشف عن بنية القصيدة عند الشّاعر وبهدف الوقوف عند أهمّ خصائصها الفنية. وقد ارتكزنا في ورقتنا البحثية هاته على المنهج الوصفي التحليلي، والذي أضفى بنا إلى طرح بعض الإشكالات التي كان أهمها: فيم تتجلى بنية القصيدة في شعر ابن الرومي؟ وما طبيعة استهلال القصيدة عنده؟ وما أهم الوجوه البيانية والخصائص الأسلوبية في شعره؟ كما ابتغينا الوصول إلى إظهار مدى براعة الشّاعر وموهبته في توضيح الجوانب الفنية والأسلوبية في شعره.

الكلمات المفتاحية: بنية فنية، قصيدة، ابن الرومي، خصائص أسلوبية، وجوه بيانية.

Abstract:

It is crucial to look at the techniques that a poet has used to compose his poem. Therefore, many researchers have traditionally focused on analyzing the aesthetic of a poem. This study aims at shedding light on the structure of Ibn Al Rumi poems. Also, the study examines the distinctive techniques he used in composing his poems. Moreover, the method used to conduct this research is descriptive-analytical which led to ask questions such as: how is the poetic structure manifested in Ibn Al-Rumi poetry? What is the nature of initialization in his poetry? What are the main figures of speech and stylistic devices in his poetry? The study reveals how Ibn Al-Rumi was wizard and talented at clarifying aesthetic and stylistic aspects in his poetry.

Key words: Aesthetic Structure, poetry, Ibn Al Rumi, Figures of speech, Stylistic characteristics.

* المؤلف المراسل.

مقدمة:

عندما نتصفح تاريخ العصر العباسي بطوربه الأول والثاني نجده في قمة عصور الأدب العربي، فقد ارتقى فيه وازدهر الأدب بصورة لم يشهده في العصور السابقة كما في المجالات الأخرى من الحياة، وهذا بسبب مجموعة من المؤثرات الفاعلة التي جعلت الأدب يسمو بأسلوبه ومعانيه. ومما ميّز هذا العصر ظهور موضوعات جديدة لم تكن معروفة من قبل، كما شهد إصباح أشياء جديدة على موضوعات قديمة. وقد سار في هذه الموضوعات تيار جديد شمل الأسلوب والموضوعات وغيرها.

أولاً: استهلال القصيدة عند ابن الرومي

من الأمور الجديدة التي عرفها الشعراء العباسيون ما كان عند ابن الرومي من طبيعة استهلال القصيدة مع التركيز على بعض الموضوعات كالوصف، الرثاء، والهجاء.

والوصف مرتبط بجلّ الموضوعات، وهو تكريس لبنية القصيدة العربية الجاهلية، ولكن بطابع جديد يتلاءم وروح العصر. ويعدّ حسن المطلع عند علماء البديع عنصراً أساسياً في معرفة وكشف أسرار شاعرية الشاعر "وقد سمي ابن المعتز براعة الاستهلال حسن الابتداء وفي هذه التسمية تنبيه على تحسين المطالع وإن أخل الناظم بهذه الشروط لم يأت بشيء من حسن الابتداء"¹.

ومما جعل القصيدة مثقلة ومشبعة بتلك الأساليب الراقية والمعاني العميقة، والتي ساهمت في تماسك أبياتها، أمّا تأثير العصر فقد أشبعت به القصيدة وأدّت إلى تماسكها وتوالد أبياتها، ممّا جعلها تطرد من المطلع إلى النهاية، ممّا أمكن الشاعر أن يتصدى في شعره لأي موضوع أو قصّة ولم يعد البيت من القصيدة يتوزّع على صدفه المعاني التي تنسخ له، كما كانت عليه القصيدة العربية من قبل².

وابن الرومي من الشعراء الذين برزوا في فنّ الوصف " فالوصف هو عالم ابن الرومي، يعارضه ويروضه في قصائده، وقد خالط الوصف أغراض شعره جميعها"³.

وما يدلّ على أنّ الوصف وجد في جميع أغراض ابن الرومي الشعرية قصيدته في وصف العنب "في شكله الظاهر المنظور إذ نراه يصرف بالتّحديق بحباته بعد أن نضجت وتنوّرت، فتتخيل إليه شبيهة للبور، وهذه النظرة الأولى هي نظرة نقلية، أي إنها تقرّر الواقع وتنقله نقلاً"⁴

وما يظهر لنا من خلال ابتدائه أنّه يعتمد على التكرار، وهذا التكرار مقصود في استهلاله "ثمّت ظاهرة التكرار في هذا الوصف أنّ الشاعر في مبالغته وتدرّجه بالمعنى، صورة بعد صورة إنّما هو يكرّره في الآن ذاته فالمبالغة إذا مبالغة تكرارية، والتدرّج تدرج تكراريّ، يستعيد المعنى ذاته، يوسّعه، يفصّله، يعلّله ويبالغ به"⁵.

ومن خلال ما سبق يتّضح لنا أنّ ابن الرومي في استهلاله قصائده، قد حذا حذو الشعراء الأقدمين، وهذا من خلال التدرّج في الوصف، حيث نجد أنّ الشّطر مرتبط بأخيه غالباً، وبالتالي فالمقدمة مرتبطة بالموضوع ارتباطاً وثيقاً، وهذا ما يعكس براعة الشاعر في حسن الانتقال من المقدمة إلى الموضوع "ذلك بأن يحسن الشاعر وصل المقدمة بالموضوع، وعرف هذا الوصل بحسن التخلّص، وفرّق النّقاد بين نوعين من التخلّص، نوع لا يكون معه أيّ اتصال بين المقدمة والموضوع ... أمّا النوع الثاني فهو الخروج المتّصل، وهو ما يكون فيه اتصال بين

المقدمة والموضوع ... والقارئ لقصائد ابن الرومي ذات الأغراض المتعددة يلمس أنه كان يحفل كثيرا بالتخلص ويميل إليه، وقد جاء التخلص الموفق عند ابن الرومي في مواضع كثيرة في شعره⁶.
ومن المقدمات التي وردت في شعر ابن الرومي نجد:

1. المقدمة الدينية:

نجد أنّ ابن الرومي كان يستفتح بعض قصائده بمقدمات دينية، تقوم على تسبيح الله وحمده، وديوانه يحوي أربعاً، حيث يجعل الممدوح متهيئاً إلى الإنصات والانتباه فضلاً على أنّها كانت مناسبة وملائمة لشخصية الممدوح ومن ذلك مقدّمته في يوسف ابن يعقوب القاضي التي يقول فيها:⁷

أَحْمَدُ اللَّهِ مُبْتَدِئًا وَمُعِيدًا حَمْدًا مَنْ لَمْ يَزَلْ إِلَيْهِ مُنِيبًا
أَنَا فِي خُطِّي وَأَهْلِي وَمَالِي وَكَأَنِّي أُمْسَيْتُ فَرْدًا غَرِيبًا

فهو في هاذين البيتين يبتدئ بحمد الله على كل مكروه، كما يشعرنا بغرته بين الناس حيث كان القاضي قد توعدّه لاتهمه في دينه، فمدحه معتذراً إليه.

2. المقدمة الوصفية:

تعتبر قصيدته النونية التي يهئ فيها عبید الله ابن عبد الله ابن طاهر حاكم بغداد، وهي خير مثال في هذا النوع من المقدمات، حيث يقول:⁸

يَمَنَّ اللَّهُ طَلْعَةَ الْمُهْرَجَانِ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى الْأَمِيرِ الْهَجَّانِ
وَأَرَاهُ السُّرُورَ فِيهِ خُصُوصًا وَعُغْمُومًا فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ

الشاعر نراه يستهلّ القصيدة بالدعاء باليمن والبركات للأمير، متمنيا له السرور على دوام الأزمان.

3. مقدمة الرثاء:

ابن الرومي في مطالع مراثيه يبدأ بالتعبير عن قلقه إزاء الحدث، وبهذا يريد تهوين المصاب، ومن ذلك ما عبّر به حيال اجتياح البصرة من قبل الزوج الذين عاثوا فيها فسادا وخرابا، فيقول:⁹

دَادَ عَن مُقَلَّتِي لَدِيدُ الْمَنَامِ شَغَلَهَا عَنْهُ بِالدُّمُوعِ السِّجَامِ
أَيُّ نَوْمٍ مِنْ بَعْدِ حَلٍّ بِالْبَصِّ رةً مِنْ تَلَكُّمِ الْهَنَاتِ الْعِظَامِ

4. مقدمة الهجاء:

يعتبر ابن الرومي أول شاعر لم يتعامل مع الشاعر أخلاقيا ولكن بشكل مباشر، فلا أقداح ولا تهشيم أعراض، ولا سباب شيمة المثلث الأموي. ونراه قد تعامل مع المهجو فنيا، حيث نظر إليه من خارج فرأى فيه نشازا أو نتوءا بارزا لا ينسجم مع طبيعة الأشياء، وهذا يرجع إلى إحساسه المرهف الذي يدفع بصاحبه في حرب طاغية إلى الانتقام، فيشنّ هجوما شرسا على الصورة النشاز أو النتوء البارز.

وابن الرومي نراه يلقي على ذينك النشاز والنتوء البارز بظلاله النفسية ورآه وهو جسد بمجموعة من الخواطر الشعرية لتخرج هجائية عادية إلى أن تصير رسما كاريكاتوريا ساخرا ولوحة فنية رائعة.¹⁰
يقول في افتتاح إحدى قصائده مخاطبا القاسم وزير المعتضد¹¹:

أرقت كَأَنِّي بَتُّ لِيْلِي عَلَى الْجَمْرِ أَرَاعِي كَرِي بَيْنَ السَّمَاكَيْنِ وَالنَّسْرِ
كَرِي طَارَ عَنْ عَيْنِي فَحَلَقَ فَأَتْبَعُهُ طَرْفِي فَأَمْعِنُ فِي النَّقْرِ

ويخاطبه في مقدّمة هجاء أخرى قائلا:¹²

يَا سَيِّدًا لَمْ تَزَلْ فُرُوعٌ مِنْ رَايَةٍ تَحْتَمَا أُصُولُ

أَمْثَلُ عَمْرٍو يَسُومُ مَثْلِي خَسْفًا وَأَيَّامُهُ تَطُولُ

ابن الرومي من خلال هاتين المقدّمتين يستهل شكواه وذلك بالتمهيد لما لحقه من ظلم وإهمال، حيث كان الكاتب عمرو يتعرض له بالسوء. وما ميّز مدخل القصيدة عنده قدرته الفائقة وملكته في التشخيص.

ونرى أيضا أنّ ابن الرومي في هجائه قد سلك أساليب عدّة أهمّها "السخرية" مثل قوله في هجاء بخيل¹³:

يُقْتَرُ عَيْسَى عَلَى نَفْسِهِ لَيْسَ بَبَاقٍ وَلَا خَالِدٍ

فَلَوْ يَسْتَطِيعُ لَتَقْتَبِرَ هَتْنَفَسَ فِي مَنْخَرٍ وَاحِدٍ

الملاحظ من خلال هذين البيتين أنّهما أبلغ ما قيل في البخل "ولم يفرق في هجائه بين أصحاب العاهات

الحسية، أو أولئك المشوّهين بالعاهات الخلقية وكلّمهم سواسية لديه"¹⁴.

وابن الرومي "رسم في هذا الهجاء صورة هزلية، تعبّر عن الطريقة التي يسلكها في رسم المشاهد، وعن

براعته في دقّة المراقبة وإثبات الحركة، وبحث الصور البعيدة إحياء"¹⁵. فهو من أوائل الهجّائين على مرّ الزمان،

وهذا ما يؤكده لنا عمر فروخ بقوله: "ابن الرومي من أقدر الهجّائين في تاريخ الأدب العربي، وكان الوصف

والتحليل يغلبان على هجائه فيكسبانه صورا رائعة تحمل السّامع على الهزء بالمهجو، وتجعل الهجاء دائرا على

الألسن... وهجاء ابن الرومي جيّد سواء أكان في مقاطع قصار أو في قصائد طوال"¹⁶.

ويقول في هجاء عيسى ابن منصور:¹⁷

عَدْرُنَاهُ أَيَّامَ إِعْدَامِهِ فَمَا عُدْرُ ذِي بُخْلِ وَاجِدٍ

رَخِيْتُ لِتَفْرِيقِ أَمْوَالِي وَيَدِي وَارِثِ لَيْسَ بِالْحَامِدِ

ومن أهّاجي ابن الرومي. أيضا. القصار والتي تنمّ عن تصوير وتحليل مؤلّمين وتهكم كبير قوله:¹⁸

إِنَّ تَطْلُ لِحْيَةً عَلَيْكَ وَتُعْرَضُ فَا لِمِخَالِي مَعْرُوفَةٌ لِلْحَمِيرِ

عَلَّقَ اللَّهُ فِي عَدَارِيكَ مِخَالَةً وَلَكِنَّهَا بَغِيرِ شَعِيرِ

وقال في صلعة أبي حفص الوراق ما يأتي¹⁹

يَا صَلْعَةَ لِأَبِي حَفْصَةَ مُمَرَّدَةٌ كَأَنَّ سَاحَتَهَا مِرْأَةٌ فُؤْلَادٍ

تَرِنُّ تَحْتَ الْأَكْفِ الْوَاقِعَاتِ بِهَا حَتَّى تَرِنَّ بِهَا أَكْتَا فُ بَغْدَادِ

وما يُعاب عن ابن الرومي هو توظيفه ألفاظ المديح في هجاء حيث قال في هجاء امرأة²⁰

مَنْ شَعْرُهَا مِنْ فِضَّةٍ وَنَعْرُهَا مِنْ ذَهَبٍ؟

"إنّ التشبيه بالفضّة والذهب إنّما يقع في المدح، وكان يجب أن يهجو المرأة بما يستعمل من ألفاظ الذمّ

وطرقه."²¹

ثانيا: الوجوه البيانية في شعر ابن الرومي

1. الحقيقة

بعد تصفحنا لبعض أشعار ابن الرومي، اتضح لنا الكثير من الوجوه التي تعبر عن الواقع خاصة إذا تعلق الأمر بحياته الشخصية أو بأقاربه. وأغلب أشعاره نصح عن الحقيقة تعبيراً، ونجدها تحديداً في غرض الرثاء أين ما حلّت نكبات الظهر بأفراد أسرته، ها هو يقول في قصيدة رثى فيها ولده الأوسط، والتي قد تبكي قارئها كما أبكت مبدعها:²²

تَوَخَّى حِمَامُ الْمَوْتِ أَوْسَطِ صَبِيَّتِي فَلِلَّهِ كَيْفَ اخْتَارَ وَاسِطَةَ الْعُقْدِ
عَلَى حِينِ شَمَّتَ الْخَيْرُ مِنْ لِحَاتِهِ وَأَنْسْتَمِنُ أَفْعَالِهِ آيَةَ الرُّشْدِ

البيتان ينطويان على حقيقة وجدانية أكثر من انطوائهما على حقيقة عقلية، إذ أنّ وقع الموت يكون فاجعاً، سواء أَلَمَّ بالأكبر أم بالأوسط من الأبناء.²³

ومن الحقائق التي أقرها ابن الرومي هي ما تعلقت بالعم، حيث أن المرء تتغير ملامحه وصوره بكون سنّه، يقول متشائماً²⁴

اكَتَهَلْتُ هِمَّتِي فَأَصْبَحْتُ لِأَبِ هَجَّ بِالشَّيْءِ كُنْتُ أَبْهَجُ بِهِ

ويقول في الشيب باكياً²⁵

يَا شَبَابِي وَأَيْنَ مَيِّ شَبَابِي أَذَنْتَنِي حِبَالُهُ بِانْقِضَابِ

ومن الحقائق التي عبر عنها ابن الرومي أيضاً. حقيقة الزهد التي وردت في مواضع كثيرة، وهو شعر يصف حقيقة الدنيا بأنّها متاع الغرور ودار بوار، والأخرة خير مستقرٍ وقرار، يقول²⁶

أَزْجُرِ الْقَلْبَ إِذَا الْقَلْبُ جَمَحَ وَأَزْدَعِ الطَّرْفَ إِذَا الطَّرْفُ طَمَحَ

وبعض أشعار ابن الرومي في الحقيقة مستقاة من القرآن الكريم، كما في قوله عن الشعراء²⁷

يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ مَسَبَّةً مِنْ اللَّهِ مَسْبُوباً بِهَا الشُّعْرَاءُ

هذا البيت يتفق والمعنى في قوله تعالى: "والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنّهم في كلّ وادٍ يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون"²⁸

2. المجاز:

هو كلمة استعملت في غير ما وضعت له مع قرينة مانعة من إيراد المعنى الحقيقي الذي جاء من أجله.²⁹ ومن صور المجاز قوله:³⁰

ظَلَمْتَنِي الْخُطُوبُ حَتَّى كَأَنِّي لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا مِنْ حَسِيْبِ

نرى الشاعر في هذا البيت قد استعمل لفظ (الخطوب) مجازياً ليدلّ على الناس.

ومن أمثلة المجاز أيضاً ما قاله في القاسم بعد ما شفي من مرضه³¹

وَتَابَ إِلَيْكَ الدَّهْرُ مِنْ كُلِّ سِيٍّ وَأَعْتَبَكَ الْمُقْدَارُ يَا خَيْرَ مَعْتَبِ

رَأَى الدَّهْرُ أَنْ لَمْ يَهْتَضِمْ غَيْرَ نَفْسِهِ فَأَقْصَرَ عَمَّا قَالَ غَيْرَ مُؤَنَّبِ

فورود "الدهر" في هذين البيتين كان وسيلة لكتّما ليست ثابتة كونها تتغير حسب الأحوال، فهي مرّة يوم لك وأخرى يوم عليك.

3. التشبيه

يعتبر وجهها من وجوه البيان وخصائصه، بل فنّ من فنون البلاغة، ويقصد به التقريب بين الموصوف والصورة الواصفة رغم انفصالهما في الأصل، فعندما تكون أمام مصطلحين لهما معنى واحد، وفيهما عبارة لم تقم على تشبيهه، فإنك تجد العبارة الثانية أوجز من الأولى وأكثر إيضاحاً، وأشدّ مبالغة في المعنى المقصود³². ويعتبر التشبيه من أبرز أنواع التصوير في كلام النَّاس، إذ يوسّع آفاق المدارك والمعارف، وابن الرومي من بين الشعراء المميّزين في مجال التشبيه، فقد جمع له ابن أبي عون مئات التشبيهات الجسّان التّوادر³³.

وقد تطرّق بن رشيق في كتابه "العمدة" إلى موضوع التشبيه في شعر ابن الرومي فقال: "في شعره أيضاً من مليح التشبيه ما دونه النهايات التي تبلغ، وإن لم يكن التشبيه غالباً عليه كابن المعتز".³⁴ والتشبيه هو الدلالة على مشاركة شيء لشيء آخر في معنى من المعاني، وهذا ما نجده في نفائس الكتب البلاغية، يقول حازم القرطاجني: "وأما التشبيهات فمنها ما يتعلّق بالشبه فيه بالانفعال والصفات، وكلا التشبيهين لا يخلو من أن يكون تشبيه الشيء بالشيء فيه بما هو من نوعه..."³⁵

أما الجرجاني فيرى في التشبيه قائلاً: "اعلم أنّ الشئيين إذا تشبّه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين أحدهما أن يكون من جهة أمر بيّن لا يحتاج إلى تأويل والآخر أن يكون الشبه محصّلاً بالضرب من التّأويل".³⁶

4. الاستعارة

لقيت الاستعارة عناية فائقة من قبل البلاغيين، فقد ظهرت تعريفات كثيرة عنها أين كانت نشأتها عظيمة عند الشعراء ممّا جعل العلماء البلاغيين القدامى أن يضعوا بواسطتها معياراً للمفاضلة بين الشعراء، لتعكس في معظمها التوجهات المعرفية لهم.

وقد عرّفها ابن المعتز في كتابه "البدیع" قائلاً: "استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها، من شيء قد عُرف

بها..."³⁷

إذا الاستعارة هي إلباس صفة في شيء معيّن لم تكن فيه من قبل، لكن الاستعارة لم تحظ بالاهتمام الذي حظيه التشبيه في القديم، غير أنّها في العصر الحديث أضحت أفضل منه، وأصبحت لغة الشعر الأولى:

"فهي الوسيلة التي يستطيع الشّاعر أن يعبر بها بدقّة ووضوح أكثر ممّا يمكن لو لجأ إلى التّنسيق المنطقي..."³⁸

وهي تعدّ أكثر استعمالاً واستثارة للخيال وأكثر تجنّحاً وتحليفاً في عالم لا تحكمه روابط ولا تحدّه حدود. وقد عمد علماء البلاغة المحدثون إلى تنقية الاستعارة من تلك الشّوائب التي ورثتها ولأزمتها منذ القدم، فالاستعارة عندهم: "قمة الفنّ البياني وجوهر الصّورة الرّائعة، والعنصر الأصيل في الإعجاز، والوسيلة الأولى التي يخلق بها الشّاعر، فبالاستعارة تتكلّم الجمادات وتنقّس الأحجار وتسري فيها آلاء الحياة".³⁹

إذا فالصورة على اختلافها من حقيقة ومجاز وتشبيه واستعارة هي عند ابن الرومي انعكاس جديد للأشياء، وولادة جديدة، لكي تكون المشاهدة حديثاً دقيقاً عنها، يردها الشاعر إلى أعماقه من جديد ليفسّر لها مرّة ثانية وثالثة ورابعة، إلى ما هنالك من أبعاد للصورة في ولادتها الجديدة. أمّا أبعادها فهي اللون، الشّكل، الزمن والشّاعر، وبالتالي الوصول إلى التوحّد بين الأشياء ومع الأشياء.

ثالثاً: الخصائص الأسلوبية في شعر ابن الرومي

شعر ابن الرومي يحوي خصائص متعدّدة من حيث الأسلوب، عمد الشّاعر إلى توظيفها في أشعاره بغية إجلاء المعنى، وتقويته، وتأكيد، ومن هذه الأساليب نورد ما يأتي:

1. أسلوب النداء

وهو من الأساليب اللغوية التي وظّفها الشّاعر في نظمه، واستخدمه كوسيلة لإثارة وشدّ انتباه شخص ما، من ذلك قوله: ⁴⁰

يا أَيُّهَا الْقَادِمُ الَّذِي انْبَلَجْتَ عُرَّتَهُ فَإِنْجَلَى بِهَا الْحَلْكَ

فهذا أسلوب إنشائي، نداء فيه يخاطب شخصا يقدم نحوه، والغرض منه التّعظيم.

ويقول أيضا عن الرضا والقناعة بما أعطاه الله تعالى ⁴¹:

يا أَكْمَلَ النَّاسِ فِي فَضَائِلِهِ مِنْ أَهْلِ بَدْوٍ وَسَاكِنِي حَضْرٍ

2. أسلوب القسم

نجد أنّ الشّاعر قد أقلّ في استعماله أسلوب القسم في شعره رغم ذلك فقد وظّفه في بعض قصائده، ومن ذلك قوله في حبّ الوطن: ⁴²

ولي وطناليتُ ألاّ أبيعهُ وألاّ أرى غيْرِي لَهُ الدَّهْرُ مَالِكا

في هذا البيت أقسم الشّاعر ألاّ يبيع وطنه، وألاّ يريد رؤية أحد غيره يسكنه أو يملكه، والغرض منه تأكيد

على مدى حبّه وطنه وشدّة تعلقه به.

ويقول في رثاء ابنه الأوسط ⁴³:

لَعَمْرِي لَقَدْ حَالَتْ بِي الْحَالُ بَعْدَهَا بَيْعُهُ فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَالَتْ بِي بَعْدَهُ؟

استعمل الشّاعر أسلوب القسم للتأكيد عن سوء حالته.

3. أسلوب الأمر

الأمر هو طلب العمل بصيغة الإلزام والاستعلاء، وقد وظّفه ابن الرومي بكثرة في شعره، يقول في قصيدة يرثي فيها ابنه ⁴⁴:

بُكَاءُكُمْ يَشْفِي وَإِنْ كَانَ لَا يُجْدِي فَجُودًا فَقَدْ أَوْدَى نَظِيرُكُمْ عِنْدِي

أسلوب الأمر ورد في كلمة (جودا) ولكن الغرض منه التمني والتحصّر والالتماس.

ويقول أيضا ⁴⁵:

دَعِ اللُّومَ إِنَّ اللُّومَ عَوْنُ النَّوَائِبِ وَلَا تَتَجَاوَزْ فِيهِ حَدَ الْمَعَاتِبِ

استعمل الشّاعر الأمر في هذا البيت للدلالة على التّصح والإرشاد.

وقال كذلك ⁴⁶:

عَرَّجَا صَاحِبِي بِالْبَصْرَةِ الزَّهْرَاءِ تَعْرِيجَ مُدْنَفٍ ذِي سِقَامٍ

فاسألها ولا جوابَ لديها لِسُؤَالٍ وَمَنْ لَهَا بِالْكَلامِ

الغرض من الأمر في هذين البيتين هو الالتماس.

4. أسلوب الاستفهام

الاستفهام هو طلب العلم بشيء لم يكن معروفا ومعلوما من قبل⁴⁷

نلاحظ أن الاستفهام شائع بشكل كبير في شعر ابن الرومي، وهذا نعزوه إلى أنّ الشاعر كثير التحدّث إلى نفسه مع نفسه، وأن شعره جدّ مسموع عند كافة طبقات مجتمعه، يقول في رثاء البصرة⁴⁸:

أَيُّ نَوْمٍ مِنْ بَعْدَ مَا أَنْتَهَكَ الزِّدَّ حُجَّ جِهَارًا مَحَارِمًا لِإِسْلَامٍ ؟

يتساءل الشاعر في هذا البيت متحسّرا عن جدوى التّوم، بعدما انتهك الزّنج محارم الإسلام نهارا جهارا، وهو بذلك يحاول استنهاض همم المسلمين وعزائمهم لاسترجاع البصرة من أيدي الغاصبين. وقال أيضا⁴⁹:

تَوَخَّى حِمَامُ الْمَوْتِ أَوْسَطَ صِيبِي فَلِلَّهِ كَيْفَ اخْتَارَ وَاسِطَةَ الْعُقْدِ ؟

كان الغرض من هذا البيت إبداء التعجّب والتحسّر تعبيرا عن الحالة السيئة التي آل إليها الشاعر جرّاء فقدته ابنه الأوسط. وقوله⁵⁰:

وَجَدْتُهُمْ أَحْلَى مَذَاقًا مِنَ الشُّهْدِ بَلُوتُ طُغُومِ النَّاسِ حَتَّى لَوْ أَنْبِي

كَيْفَ وَقَدْ جَرَّبْتُ مِنْ طَبَقَاتِهِمْ تَجَارِيِبَ تَدْعُو النَّاسَ مِنْهُمْ إِلَى الرُّهْدِ ؟

يتساءل الشاعر هنا عن النَّاسِ وعن أحوالهم وكيف أنه جرّبهم فلم يجد فيهم أخا صادقا، رغم أنّ مظهرهم ينبئ عن زهد، والغرض منه التعجّب والاستبعاد. ويقول أيضا عن البصرة⁵¹:

أَيْنَ ضَوْضَاءُ ذَلِكَ الْخَلْقِ فِيهَا أَيْنَ أَسْوَاقُهَا ذَوَاتِ الرِّحَامِ ؟

أَيْنَ فَلَكَ فِيهَا وَفَلَكَ إِلَيْهَا مُنْشَأَتٌ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ؟

أَيْنَ تِلْكَ الْقُصُورُ وَالذُّورُ فِيهَا أَيْنَ ذَاكَ الْبُنْيَانُ ذُو الْإِحْكَامِ ؟

أراد الشاعر من هذا الاستفهام في هذه الأبيات هو إبداء حالة الأسى والحسرة التي يعاني منها الشاعر بصفته أحد ساكني البصرة.

الخاتمة:

أخيرا وليس آخرا، فقد حاولنا من خلال هذه الورقة البحثية أن نتعامل مع النص الشعري تعاملًا وصفيا تحليليا، للكشف عن بعض الجوانب الفنية الخفية التي تأسس بواسطتها شعر ابن الرومي، وحيث أنّ تلك الظروف السياسية والاجتماعية الصعبة التي عاشها الشاعر كان لها عميق الأثر في بلورة شاعريته، والتي برزت من خلال شهادة النقاد الذين عاصروه أو الآخرين الذين وجدوا بعده. وهنا تبرز عبقرية الشاعر في استهلال قصائده بمقدّمات تنوّعت بين الدنيوية، الوصفية، الرثائية، والهجائية. وقد ارتكز فيها على التكرار الذي كان مقصودا بغرض التدرّج والتفصيل في المعنى، صورة بعد صورة، ممّا جعله يقلّبه ظهرا على بطن حتى لا يترك فيه شيئا.

وممّا يجدر قوله أيضا. إنّ ابن الرومي من خلال صور الحقيقة، المجاز، التشبيه، والاستعارة، قد استطاع أن يعبر بصدق عن تجربته الشعورية وعن مواقفه في الحياة، فكانت صورته بعيدة عن التملّق والتكلف

والتصنّع، وأقرب إلى ما تكون عليه الصورة الشعرية التلقائية التي تنبض بالحركة، وتشعّ بطاقات وقوى إيحائية كبيرة، وذلك مردّه إلى قدرة الشّاعر وبراعته في استقصاء المعاني وتوليدها.

وما يمكن قوله . كذلك . إنّ ابن الرومي استطاع أن يظهر مدى قدرته في إبراز موهبته الشعريّة استناداً لتلك الأساليب الفنيّة أين التقت فيها جزالة العبارة، ودقّة التّصوير. وقد تمكّن شاعرنا من أن يجمع بين أعظم الحقائق الإنسانية، والصياغة الرائعة الدّالة على صدق الشعور وجمال الوصف، وبراعة التعبير، ونقاء السريّة وسعة الخيال.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن الإمام نافع

1. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيديع، ضبط وتحقيق: يوسف هميلي، المكتبة العصرية، صيدا. لبنان، ط1، 1999.
2. أمين أبو ليل، علوم البلاغة المعاني والبيان والبيديع، دار البركة للنشر والتوزيع، عمّان. الأردن، ط1، 2006.
3. إيليا الحاوي، ابن الرومي فنّه ونفسيته من خلال شعره، منشورات مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت / لبنان، دط، 1959.
4. بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم البيان، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984.
5. تقي الدّين الحموي، الأدب وغاية الأرب، تح: عصام شعيتو، دار مكتبة الهلال، بيروت / لبنان، ج1، ط1، 1987.
6. جمال ولد الخليل، ابن الرومي وفاجعة فقدان الولد، مجلة الرافد، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، العدد 172، ديسمبر 2011.
7. حازمالقرطاجي، منهاج البلغاء وسراج الأدياء، تح: محمد الحبيب بن خوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، دط، 1966.
8. خليل شرف الدّين، الموسوعة الأدبية الميسّرة، ابن الرومي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1996.
9. ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشّعر وأدابه ونقده، تح: محمّد معي الدّين، دار الجيل للنشر، بيروت/لبنان، ط5، 1981.
10. ابن الرومي، الديوان، تح: أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2002.
11. ابن الرومي، التخلّص، ضحك الربيع إذا بكى الدّيم لابن الرومي، www.forunegypt.com/arforund يوم 2017/03/06، الساعة 10:00.
12. أبو زيد سامي يوسف محمود، ابن الرومي، دراسة تحليلية لشعره، أطروحة دكتوراه، اختصاص لغة عربية وأدائها، جامعة القديس يوسف، بيروت، 1997.
13. السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن علي) مفتاح العلوم، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط3، 1983.
14. ابن سنان الخفّاجي، سرّ الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982.
15. صبيح حسن عباس، الصورة في الشّعر السوداني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1982.
16. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، قرأه وعلّق عليه: أبو فهد محمود شاکر، الدّار المدنية، جدّة السعودية، دط، 1991.
17. عبد المجيد الحر، ابن الرومي، عصره، حياته، نفسيته، فنّه من خلال شعره، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1992.
18. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي الأعصر العباسية، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ج2، ط4، 1981.
19. محمود درايسة، ابن أبي عون وكتابه التشبيهات، مؤسّسة حمّاد للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، دب، ط3، 2003.
20. ابن المعتز، البيديع، تعليق: أغناطيوس كراتشوفسكي، دار الميسّرة، بيروت، ط3، 1982.

هوامش وإحالات المقال

1. تقي الدّين الحموي، الأدب وغاية الأرب، تح: عصام شعيتو، دار مكتبة الهلال، بيروت / لبنان، ج1، ط1، 1987 ص19.
2. ينظر: إيليا الحاوي، ابن الرومي فنّه ونفسيته من خلال شعره، منشورات مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت / لبنان، دط، 1959، ص66.
3. المرجع نفسه، ص 9.
4. عبد المجيد الحر، ابن الرومي، عصره، حياته، نفسيته، فنّه من خلال شعره، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1992، ص89.
5. المرجع نفسه، ص13.

- ⁶ التخلص عند ابن الرومي، ضحك الربيع إذا بكى الدّيم لابن الرومي، www.forunegypt.com/arforund يوم 2017/03/06، الساعة 10:00، ص15.
- ⁷ ديوان ابن الرومي، تح: أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2002، ص134.
- ⁸ المرجع نفسه، ج3، ص417.418.
- ⁹ المرجع نفسه، ج3، ص338.
- ¹⁰ ينظر: خليل شرف الدّين، الموسوعة الأدبية الميسرة، ابن الرومي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1996، ص145.
- ¹¹ ديوان ابن الرومي، تح: أحمد حسن بسج. ج2، ص46.
- ¹² المرجع نفسه، ج3، ص138.
- ¹³ المرجع نفسه، ج1، ص412.
- ¹⁴ عبد المجيد الحر، ابن الرومي، عصره، حياته، نفسيته من خلال شعره، ص138.
- ¹⁵ المرجع نفسه، ص139.
- ¹⁶ عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي الأعصر العباسية، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ج2، ط4، 1981، ص346.
- ¹⁷ ديوان ابن الرومي، تح: أحمد حسن بسج. ج2، ص412.
- ¹⁸ المرجع السابق، ج1، ص23.
- ¹⁹ المرجع السابق، ج1، ص530.
- ²⁰ ابن سنان الخفّاجي، سرّ الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص162.
- ²¹ المرجع نفسه، ص162.
- ²² ديوان ابن الرومي، تح: أحمد حسن بسج. ج3، ص400.
- ²³ ينظر: جمال ولد الخليل، ابن الرومي وفاجعة فقدان الولد، مجلة الرّافد، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، العدد 172، ديسمبر 2011.
- ²⁴ ديوان ابن الرومي، تح: أحمد حسن بسج. ج1، ص106.
- ²⁵ المرجع نفسه، ص232.
- ²⁶ المرجع نفسه، ص354.
- ²⁷ المرجع نفسه، ص31.
- ²⁸ سورة الشعراء، الآيات 224، 225، 226.
- ²⁹ ينظر: السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن علي) مفتاح العلوم، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1983، ص365.
- ³⁰ ديوان ابن الرومي، تح: أحمد حسن بسج. ج1، ص80.
- ³¹ المرجع نفسه، ص203.
- ³² ينظر: أمين أبو ليل، علوم البلاغة المعاني والبيان والبدیع، دار البركة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2006، ص149.
- ³³ ينظر: محمود درايسة، ابن أبي عون وكتابه التشبيهات، مؤسسة حمّاد للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، د ب، ط2003، ص23.24.
- ³⁴ ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشّعر وأدابه ونقده، تح: محمّد محي الدّين، دار الجيل للنشر، بيروت/لبنان، ط5، 1981، ص237.
- ³⁵ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن خوجة، دار الكتب الشّرقية، تونس، دط، 1966، ص220.
- ³⁶ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، قرأه وعلّق عليه: أبو فهد محمود شاكر، الدّار المدنية، جدّة السعودية، دط، 1991، ص79.
- ³⁷ ابن المعتز، البديع، تعليق: أغناطيوس كراتشوفسكي، دار الميسرة، بيروت، ط3، 1982، ص2.
- ³⁸ صبيح حسن عباس، الصورة في الشّعر السوداني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1982، ص55.
- ³⁹ بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم البيان، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984، ص111.
- ⁴⁰ ديوان ابن الرومي، تح: أحمد حسن بسج. ج3، ص3.
- ⁴¹ المرجع نفسه، ج2، ص127.
- ⁴² المرجع نفسه، ج3، ص14.
- ⁴³ المرجع نفسه، ج3، ص16.
- ⁴⁴ المرجع نفسه، ج3، ص305.

- ⁴⁵.المرجع نفسه، ج 3، ص 213.
- ⁴⁶.المرجع نفسه، ج 3، ص 34.
- ^{47/47}.ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ضبط وتحقيق: يوسف الهميلي، المكتبة العصرية، صيدا. لبنان، ط1، 1999، ص 71.
- ⁴⁸. ديوان ابن الرومي. ج 3، ص 340.
- ⁴⁹.المرجع نفسه، ج 2، ص 375.
- ⁵⁰. أبو زيد سامي يوسف محمود، ابن الرومي، دراسة تحليلية لشعره، أطروحة دكتوراه، اختصاص لغة عربية وأدائها، جامعة القديس يوسف، بيروت، 1997، ص 172.
- ⁵¹.المرجع نفسه، ج 3، ص 340.